مركز
الإحقاقي
الثقافي

مَن هُم
المتقون ؟

زمزم منصور القطان

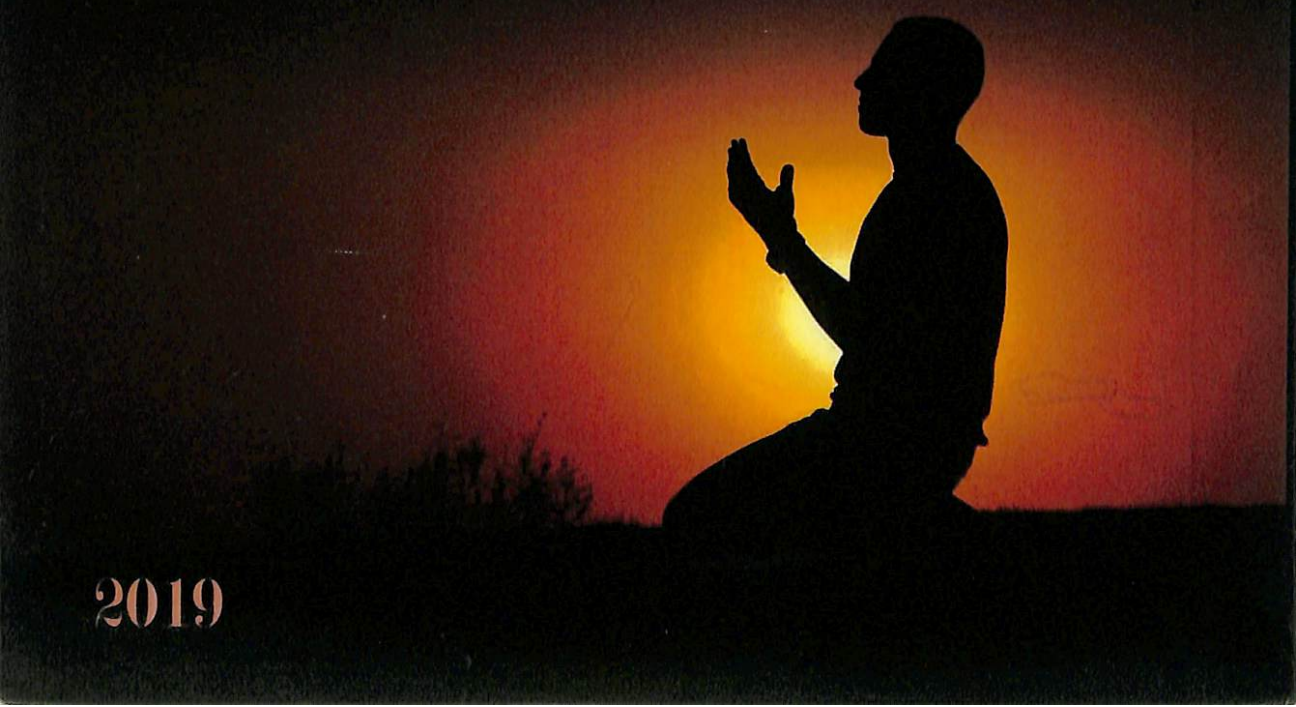

2019

المركـز الثقافـي
الأحقاقـــي

من هم المتقـــون؟

زمـزم منصور القطان

موقع الأوحد
Awhad.com
٢٠١٩م - ٢٠٢٠م

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام

« ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته»[1].

(١) أصول الكافي: ج٢، ص٧٤.

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين، والصـلاة والسـلام على خير الأنام البشـير النذيـر محمد المصـطفى وآله الهـداة الميامين أئمة الديـن واللعنة على أعدائهم من الآن إلى يوم الدين.

الله سـبحانه وتعالى ما خلق البشـر إلا ليبلغ بهم إلى الكمال والترقي إلى المقامـات العلية ويصـلوا إلى مرتبة الإنسـانية، ولكن هناك صـراع حقيقي داخل الوجود الإنسـاني ما بين صـوت يدعو إلى الحقيقة المتمثل بالعقل وصوت يدعو إلى اتباع الهوى، وما على الإنسان إلاّ أن ينصر العقل في صـراعه مع الأهواء النفسـية حتى يرتقي في سلم الكمال الإنساني، وهذا لا يتحقق إلاّ بالارتباط بالإنسـان الكامل الحقيقي وهو خاتم الرسل وهادي السُبل محمد المصطفى وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

فهم الهادون والمرشـدون وكل من ارتبط بهم واقتدى بهم في عقيدته وأخلاقـه وأعمالـه وإيمانه وصـلوا إلى الحياة الإنسـانية المطلوبة، ومن لم يرتبط بهم عليهم السـلام فهو فاقد للإنسـانية وهـذا ما بيّنه الإمام الهـادي عليه السلام فـي الزيـارة الجامعة الكبيرة فـي فقرة «**آخـذ بقولكم، عامل بأمركم**».

فالمؤمـن الموالي الكيس هو الـذي يعي حقيقة أوامـر الله ونواهيه وما فيها من الخير للإنسـانية فيحرص على (**تقوى الله**)[1]، والتزام أوامره

(١) فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب، (نهج البلاغة للشيخ محمد عبده، ص ٥٠٦، من خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام في الوصية بالتقوى).

واجتناب نواهيه لأن التقوى تعدّ من أهم وأفضل ما ينبغي على المؤمن أن يتحلى ويتزين قلبه به قوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] حيث أن التقوى عامل مهم لإصلاح الإنسان، فقد علّق الله فيها الخير الكثير ووعد عليها الأجر والثواب الجزيل.

بمشيئة الله عز وجل يستعرض البحث التقوى والمتقين وذلك استشهاداً بعدة آيات قرآنية ذكرها الله عز وجل في كتابه، كما ذكرها أمير المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطب كثيرة، لا سيما الخطبة المسماة بالصاعقة.

راجين من المولى العلي القدير التوفيق والسداد بحق محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

زمزم منصور القطان

(١) سورة البقرة: آية ١٩٧.

التقــوى

التقــوى ملكة في جوهر الإنسان وباطنه، تنشــأ في نفس الإنسان من خلال المواظبــة والتمرين عليها وهي اجتناب المحرمات وأداء الواجبات، فهي نظير ملكــة الكتابة حيث أن الإنسان يجيدهــا من خلال ممارستها بمــرور الزمــن، ففي البدايــة يكون خطــه معوجاً بحــروف وكلمات غير متناسقة لكنه بمرور الأيام يتحسن خطه فيصبح قادراً على مسك القلم وبكل سهولة يكتب ما يشاء.

كذلــك الحال في التقوى ما دامت ملكــة التقوى وقوّتها لم تترسخ في ذاتــه، لا يستطيع الإنسان أن يبلــغ الكمال لذا يجب عليه في جميع أموره من واجبات ومحرمات أن يسعى إلى تربية هذه الملكة في نفسه وتقويتها كي يبلغ الكمال ويقال عنه متقياً.

يقــول أمــير المؤمنــين علي عليه السلام فــي أحد خطبــه في نهــج البلاغة (١٥٧): «**اعلمــوا عبــاد الله أن التقــوى دار حصــن عزيــز، والفجــور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه وبالتقوى تقطع حمة الخطايا**».

بمعنــى أن التقــوى قلعــة محصنة تقــي الإنسان من هجمــات الأهواء والرغبــات النفسيــة الشيطانية غــير المشروعة، وهي درع يقــي الإنسان النبــال المسمومة، وبالتقــوى يتحرر الإنسان من أســر الأهواء والرغبات وتزيل عنه الحرص والطمع والحسد والشهوة والغضب.

يقــول الله عز وجل في كتابــه العزيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ

﴿ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[1]، يعني يمنحكم بصيرة تشخصون بواسطتها طريق سعادتكم وشقاوتكم ومصالحكم ومفاسدكم، مع أن القرآن نزل لعامة الناس لكن المتقين هم من يهتدون به ويتبعونه ولهذا يقول الله عزّ وجل ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[2].

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام من وصاياه:

لعمرك ما الإنسان إلاّ بدينه

فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارسي

وقد هجن الشرك الشريف أبا لهب

فكلمة التقوى من أكثر كلمات القرآن الكريم ونهج البلاغة استعمالاً، ليس هناك أي كتاب يركز فيه على التقوى أكثر من نهج البلاغة.

قال الله الحكيم في كتابه المجيد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[3]، في هذه الآية المباركة يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتقوى، مما يدل على أنّ منزلة (التقوى) هي منزلة ما بعد الإيمان بالله ورسوله، وهناك روايات عديدة تؤكد على أن مرحلة التقوى إنما تأتي بعد مرحلة الإيمان، فقد ورد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «**يا أبا محمد الإسلام درجة، قال: قلت: نعم، قال: والإيمان على الإسلام درجة، قال: قلت: نعم، قال: والتقوى على الإيمان درجة**»[4].

---

(١) سورة الأنفال: آية ٢٩.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٨.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٤) أصول الكافي: ج٢، ص٥٢، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل الإيمان على الإسلام.

ومثله عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة**»[1].

حقيقة التقوى: التقوى من الوقاية أي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره قوله تعالى ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾[2]، كذلك قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[3].

فالتقوى: جعل النفس في وقاية مما يخاف، ثم صارت التقوى في عرف الشرع هي حفظ النفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، بل ترك بعض المباحات أيضاً. لهذا السبب وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام التقوى بأنها الحصن الذي يقي الإنسان أخطار الإنزلاق إذ قال: «**اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز**»[4].

التقوى ليست هي مقاماً من مقامات الكمال، وإنما هي وسيلة لبلوغ تلك المقامات ولا يمكن بلوغ أي مقام بدونها.

الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن تفسير التقوى؟ قال عليه السلام: «**أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك**»[5].

على ذلك فإن للتقوى شطرين أو جهتين:

الشطر الأول من الحديث يراد منه (أي المواظبة على أداء واجباتك وفرائضك في أوقاتها ومحلها.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥١.
(٢) سورة التحريم: آية ٦.
(٣) سورة الإنسان: آية ١١.
(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٧.
(٥) بحار الأنوار: مجلد ٢٧، ص٣٥٠.

أما **الشطر الثاني** فيريد به عليه السلام اجتناب المحرمات والمعاصي.

وهذه أولى درجات التقوى، والشخص الذي يطلب السعادة ومقام التقوى الشامخ يجب أن يعطي اهتماماً أكثر للجهة أو الشطر الثاني في التقوى وهي الامتناع عن المحرمات والذنوب، لأنه إذا امتنع عن المحرمات فإن عمله الصالح مهما كان قليلاً وصغيراً سيكون مقبولاً ويقربه إلى الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

جاء في الروايات ما مضمونه أن العمل باليسير من التقوى والإحتراز من الذنوب هو بمنزلة الملح في الطعام، فكم يكون الملح قليلاً في كميته المضافة فلا بُدّ أن تضفي هذه الكمية طعماً لذيذاً للطعام مقارنة بالطعام الخالي من الملح.

فالمتقي هو الذي يتّقي الله بالقيام بأوامر الله واجتناب نواهيه والطاعة لله فرع الولي عليه السلام، ومعصية الله فرع أعداء الولي عليه السلام، فإذا أطاع فقد تولّى، وإذا لم يعص فقد تبرأ، فإذا تولّى وتبرأ فقد اتقى، ومن اتقى قبلت أعماله لأنها أعمال صالحة وكلم طيب قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2].

الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي «الأوحد» (قدس سره) في كتابه شرح الزيارة الكبيرة ج١، ص١٢٤، فقد عرّف التقوى وقال: هي الخشية والخوف من الله سبحانه وتعالى في الغيب قوله تعالى ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[3] ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: آية ٢٧.

(٢) سورة فاطر: آية ١٠، شرح الزيارة الجامعة: ح١، ص٦٧.

(٣) سورة الأحزاب: آية ١.

(٤) سورة الليل: آية ١٧.

والتقى تعظيم عظمة العظيم واستشعار جلاله وعظم شأنه وسعة كبريائه قوله تعالى ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] يعني تعظيماً لشعائر الله وعظيم شأنه، وقد يراد من التقى الطاعة والعبادة الخالصة بأن يتقي كل ما ينافي أمر الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] يعني خير الأعمال الطاعات الخالصة لوجه الله تعالى. والأصل فيها تطهير الظواهر وتنزيه القلوب من الذنوب للقيام بخدمة المحبوب قوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[3] وقد مدح الرسول الأكرم التقوى في أحاديث كثيرة قال ﷺ: «**خصلة من لزمها أطاعته الدنيا والآخرة وربح الفوز بالجنة**» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: **التقوى**.

فقد ورد أنها خير الزاد وأنها الكرم، وأنّ من سرّه أن يكون أكرم الناس وأعز الناس فليتق الله عز وجل ثم تلا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[4] أي يجعل له مخرجاً في دينه ويرزقه من حيث لا يحتسب في دنياه»[5].

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام: أي عمل أفضل؟ قال عليه السلام: **التقوى**[6].

فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: جلس جماعة من أصحاب رسول

---

(١) سورة التوبة: آية ١٠٨.
(٢) سورة البقرة: آية ١٩٧.
(٣) سورة النور: آية ٥٢.
(٤) سورة الطلاق: آية ٣.
(٥) بحار الأنوار: مجلد ٢٧، ص٣٤٩.
(٦) نفس المصدر السابق: ص٣٥١.

الله ﷺ ينتسبون ويفتخرون وفيهم سلمان المحمدي رحمه الله، فقال له عمر: ما نسبك أنت يا سلمان؟ وما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبدالله، كنت ضالاً فهداني الله بمحمد ﷺ، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد ﷺ، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد ﷺ، فهذا حسبي ونسبي يا عمر، ثم خرج رسول الله ﷺ فذكر له سلمان ما قال عمر، وما أجابه فقال رسول الله ﷺ: «**يا معشر قريش إنّ حسب المرء دينه، ومروّته خلقه، وأصله عقله، قال الله تعالى** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]، ثم أقبل على سلمان وقال له: «**يا سلمان إنه ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلاّ بتقوى الله عز وجل، فمن كنت أتقى منه فأنت أفضل منه**».

❁ مراتب التقوى:

يتفاوت المتقون في درجات تقواهم فليسوا كلهم على درجة واحدة لذلك قُسمت مراتب التقوى إلى ثلاث مراتب كما قال الشيخ الأوحد (أحمد بن زين الدين الإحسائي قدس سره):

١- **تقوى العوام:** وهي فعل الواجبات وترك المحرمات وهذه أدنى مراتب التقوى.

٢- **تقوى الخواص:** وهي فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات، ويقوم بأداء النوافل والذهاب إلى المسجد للصلاة جماعة، يُقال أن جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ وقال له: «إن الله

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

أكرمك بهديتين وهما النافلة والجماعة»، أي صلاة النافلة وصلاة أمتك جماعة إلى أن يقول رسول الله ﷺ يسأل جبرائيل: ما لي أمتي إذا صلوا جماعة؟ قال جبرائيل: إذا كان الإمام مع مأموم واحد لها ثواب كذا، وإذا كان اثنان كان ثوابهما كذا، إلى أن قال العدد عشرة من المؤمنين ثوابهم لو أن الإنس والجن كُتّاب والشجر أقلام والسماء والأرض أوراق والبحر مداد ما استطاعوا أن يحصوا فضل ركعة واحد في تلك الجماعة.

خادم الشريعة ميرزا عبدالرسول الأحقاقي (قدس سره) يُعلق على هذا الكلام ويقول: «**المؤمن الكيس لا يترك مثل هذا الثواب**».

٣- <u>درجة خواص الخواص</u>: إذا استطاع المؤمن أن لا يصرف وقته وجميع أقواله وأفعاله إلاّ في رضا الله سبحانه وتعالى يعني قلبه لا ينشغل إلاّ بذكر الله وعينه لا ترى الحرام وكل جوارحه تكون متوجهة إلى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ هذه المرتبة العليا من التقوى، لذلك تجد بعض علمائنا لا يأتي مباحاً في حياته إضافة عن ابتعاده عن الحرام والمكروهات وعمل الواجبات والمستحبات لأن كل أعماله في رضا الله تعالى.

<u>قصة</u>: جاء في ترجمة الخواجة نظام الملك أنه التقى ذات يوماً رجلاً من الأتقياء فقال له: سلني شيئاً فأنت محتاج وأنا غني، فقال الرجل التقي: أنا لا أسأل من الله إلاّ هو لأن الطلب من الله غير الله من تسافل آلهتهم. وأنا لا أطلب من الله غير الله فكيف أطلب من غير الله.

فقال الخواجة: إن كنت لا تطلب مني شيئاً فدعني أسألك شيئاً.

فقال الرجل التقي: وما حاجتك؟

قال الخواجه: اذكرني في الساعة التي تذكر فيها الله.

فقـال الرجل التقي: عندما يوفقنـي الله لأن أذكره فإني أنسى نفسي فكيف أذكرك؟

والإمام جعفر الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: ص٣٤، فقد ذكر التقوى على ثلاثة أوجه:

- تقـوى بـالله فـي الله وهو ترك الحـلال فضلاً عن الشبهـة وهو تقوى خاص الخاص.
- تقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام وهو تقوى الخاص.
- تقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام.

هنا الإمـام الصادق عليه السلام أعطـى مثالاً رائعاً لأنـواع التقوى الثلاثة فقـال: «**التقوى كالماء الذي يجري في نهـر**»، ومثّل أنواع التقوى الثلاث كالأشجار المغروسة على حافة ذلك النهر من كل نوع وجنس، وكل شجرة منها تمتص من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته، ثم بعـد ذلك يكون منافع الخلق من تلك الأشجار والثمار حسب قيمتها قوله تعـالى: ﴿صِنْوَانٌ[1] وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾[2].

---

(١) صنوان: جمع صنو، أي الغصن الخارج من أصل شجرة النخيل.
الأغصان المختلفة الخارجة من أصل الشجرة يمكن أن يكون لكل واحد من هذه الأغصان نوع خاص من الثمر وهذا يدل على قابلية الأشجار للتركيب، فالتربة واحدة والساق والجذر واحد ولكن الثمر مختلف والأعجب من ذلك أنها تُسقى بماء واحد وقد نرى غصن واحد توجد عليه ثمار من نفس الصنف ولكن لها أطعمة وألوان مختلفة (تفسير الأمثل: مجلد ٧، ص٢٩٧- تفسير الصافي: ج٣، ص٥٧).

(٢) سورة الرعد: آية ٤.

ومثل الإمـام عليه السلام التقوى بالنسبة للطاعات كالمـاء للأشجار، ومثّل طبـع الأشجار والثمار فـي لونها وطعمها مثل مقـدار الإيمان، فمن كان أعلـى درجـة في الإيمـان كان أتقى، ومـن كان أتقى كانـت عبادته أكثر إخلاصاً ومن كان كذلك كان من الله أقرب.

هذه الأنواع الثلاثة للتقوى ذكرها الله عز وجل في كتابه قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

فالمحسنون الذين جمعوا المراتب الثلاث وقاموا بما يراد فيها هم أهل محبـة الله وهم على مراتب يتفاضلون فيهـا على قدر معرفتهم وعملهم وإخلاصهم وصدقهم إلى أن تنتهي بهم المراتب إلى مقام الولاية المطلقة فـي الإمكان فينفرد عن الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبون وينحط ما سواهم، كما قال سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام:

ولا يجوز السَّبْق الرايا وإن جرت

ولا يُـدرك الغايـات إلاّ سُبوقُها

هم العُروة الوثقى وهم معدنه التقي

وخـير حبـال العـالمين وثيقها

فهـم المتقـون علـى الحقيقة ومـا سواهم فهـم في التقـى (التقوى) اتباعهم[2].

---

(١) سورة المائدة: آية ٩٣.

(٢) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ج١، ص٣٤٠.

* طرق السلوك إلى التقوى:

وإن شئت طريق الوصول إلى المقصود فكن على الطرق الثلاثة في السلوك:

١- طريق الأخيار وأرباب الصدور:

وهم أصحاب الأعمال الظاهرة من الصوم والصلاة والحج والجهاد وقراءة القرآن، ودوام الذكر وإصلاح الظاهر على ما قرر في الشرع وتصفي تلك الأعمال وتطهر باعتبارنية القربة مما يجعل الباطن مستعداً لأعمالها حيث يستشرق بنور الهداية، هذا إذا كان العامل صادقاً في قصده خالصاً في نيته. فالتقوى خير الزاد للسالك المسافر قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]، بالإضافة إلى الاجتناب عن المحرمات والامتثال للأوامر الشرعية الواجبة، هذا تقوى العوام.

٢- طريق الأبرار وأرباب القلوب:

وهو طريق تهذيب الأخلاق من الإفراط والتفريط، وهذا تقوى الخواص، بالإضافة إلى التجنب عن الأخلاق الرذيلة والتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب القلبية، مع مراعاة الأعمال الظاهرة التي لأصحاب الصدور والامتثال للأوامر الشرعية المندوبة لأنها تجلي الباطن وتُطهره حتى يكون محلاً للعنايات الإلهية والفيوضات الربانية. فتهذيب الأخلاق وتزكية النفس من الأخلاق السيئة غايته تعمير الباطن وتطهيره.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

٣- طريق أرباب الأفئدة وأصحاب الحقيقة:

وهو طريق السالكين إلى الله حقيقة لأن هذا السلوك هو المقصود بالذات بخلاف الأوليين، لأنهما وإن كانا مقصودين إلاّ أن مقصوديتهما تكون من باب المقدمة بالنسبة لهذا الطريق، وعمدة الأعمال في الموت الاختياري كما قال ﷺ: «**موتوا قبل أن تموتوا**». إضافة الإعراض عن التفات الغير والنظر إلى سواه تعالى، والإقرار بالعقائد الصحيحة مع مراعاة الأعمال الظاهرة البدنية والأعمال القلبية، والاجتناب عن الحلال أيضاً، وهذا هو تقوى أخص الخواص.

وفائدة هذا الطريق الوصول إلى تجليات المحبوب ومعرفة النفس التي هي معرفة الرب، وتحصيل مقام حق اليقين بالكشف والشهود، أصحاب هذا الطريق يسمون بأصحاب المحبة وأرباب المودة، ويسمون أصحاب القلوب بأهل الرجاء والاشتياق، ويسمون أصحاب الصدور بأهل الخوف والخشية.

❁ لماذا التقوى؟

لأن الذنوب موجودة في عمق الحياة في كل موقع وفي كل مكان والإنسان معرض في كل لحظة للذنب لذلك نجد الله سبحانه وتعالى يؤكد على التقوى كذلك الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والنفس الإنسانية ميّالة إلى المعصية بالطبع، فبالتقوى يستطيع الإنسان أن يسيطر على أهوائه وعلى نفسه الأمارة وأن يحافظ على نفسه فيسمى متقي الذي يعتبر العالم ومشكلاته عابرة وأن الحياة الآخرة أصلية وباقية ويتكل على القوى الإلهية الدائمة ويستصغر حوادث الدنيا ومشاكلها لأنها مؤقتة فلا

يجـزع ولا يفزع بل تجده يُسلّم الأمـر تسليماً مطلقاً أمام الإرادة الإلهية، كذلك تجد (المتقي) حياته مطمئنة يقضيها بقلب مطمئن ونفس نورانية ويجهـز زاد آخرتـه لأنه يرى حب الدنيا منبـع ومصدر كل المشاكل لذا لا يتعلق بالدنيا وما فيها حتى لا يتألم لفقدانها وصدق أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: «**إياك حب الدنيا فإنها أصل كل خطيئة ومعدن كل بلية**».

❊ ما هي آثار التقوى على الإنسان وما هي الفوائد المترتبة على التقوى؟

أشـار القـرآن الكـريم إلى أهمية التقـوى في آيات كثـيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]، بـيّن الله عـز وجل في ذيـل الآية على أنّ الكرامـة الحقيقيـة إنما هي بتقوى الله وأنّ مـلاك القرب منه تعالى يدور مدار التقوى لا مدار المقامات الدنيوية، وهذا ما ورد عن المعصومين عليهـم السـلام التي تحدثت عـن التقوى وأهميتها مـن قبيل ما ورد عن أمـير المؤمنـين عليه السلام أنه قـال: «**لا يقلّ عمل مـع تقوى، وكيـف يقلّ ما يتقبـل**»[2]، ومـا ورد عـن الإمام الصـادق عليه السلام في وصيتـه لعمرو بن سعيـد الثقفي قال: «**أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنه لا ينفع اجتهاد ولا ورع فيه**»[3].

١- أمـا <u>آثار التقوى:</u> فهي عديدة أشارت إليها الآيات، غير أنّ بعض

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٢) أصول الكافي: ج٢، ص٧٥.
(٣) أصول الكافي: ج٢، ص٧٦.

الناس يعتقد أن أثر التقوى إنما يظهر في الحياة الآخرة فقط ولا يشمل الحياة الدنيا، ولكن القرآن الكريم أوضح في عدة آيات أثر التقوى على الإنسان في النشأتين الدنيا والآخرة، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1]، أي أن حياة المتقي في هذه الدنيا حياة يسيره سهلة طيبة لا ضنك فيها. وقوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2] إنّ حياة المؤمن ليست حياة طيبة في الدار الآخرة فقط إنما هي كذلك، في هذه النشأة الدنيوية أيضاً.

قصة:

نقل لنا مالك بن دينار في فضائل السادات حكاية فقال: كنت ماراً في سوق الحدادين وإذا بي أرى حدّاداً يمدّ يده في كورة صهر الحديد ليخرج بيده المجردة الحديد المصهور دون أن تحترق يده، فتعجبت فقلت في نفسي عجباً لجلده ولحمه وعظمه، فتقرّبت إليه وسلمت فسألته كيف النار لا تحرق يدك؟ فامتنع أولاً ولكن مع الإصرار قال لي: إنه دعاء العلوية، فقلت وما قصة العلوية هذه؟ قال: حدثت مجاعة وقحط في الأرزاق، وكنت الوحيد الذي يملك الطعام بكثرة، وفي أحد الأيام جاءت إليّ إحدى النساء العلويات مع أطفال صغار لها يطلبون الطعام قرضاً، وكانت على قدر من الجمال فسوّلت لي نفسي وعرضت عليها الحرام فأبت وبعد مدة جاءت وعرضت عليها الحرام فأبت، وفي المرة الثالثة وافقت ولكن أشترطت عليّ أن لا يراها أحد، وعندما ذهبت بها إلى مكان

---

(١) سورة الليل: آية ٥-٧.

(٢) سورة النحل: آية ٩٧.

خـال، رأيتها ارتعدت فرائصها فسألتها عـن السبب فقالت: لماذا لم تفِ بالشرط؟ ألم أشرط عليك أن لا يراني أحد؟ فقال: لا أحد معانا، فقالت: إن الله حاضـر يرى وإن الكرام الكاتبين حاضرون فما العمل؟ فقلت لها: كان علـيّ أن أرتجـف أنا لا أنـت، وأخشى قبلما تخشـين، فقام وأعطاها الحنطـة والشعـير، فدعـت لـه أن لا تحرقه النـار في الدنيـا والآخرة، فاستجاب الله دعاءها لفهمها وإدراكها وعقلها وتقواها.

٢- وقال عز وجل ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١] حيث جعلت الآية المباركة التقـوى في المقدمة ليكون مع الصادقين وهم النبي محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولكن لا تظهر أهمية التقوى إلاّ من خلال هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٢]، لأن الإنسـان مسافر إلى الله تعالى وكادح إليه كدحاً من أجل الوصول إليه والقرب منه واللقاء بـه، وهذا الكدح لا يحقق ثمرته إلاّ إذا كان على الصراط المستقيم الذي لا يتحقق إلاّ من خلال قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٣] وإنّ هذا الاتباع للخاتم ﷺ لا يتحقق إلاّ بالأخذ بكل ما جاء عنه ﷺ لقولـه تعـالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٤]، ذلـك لأن النبـي ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هـو إلا وحي يوحى، وقد بيّن النبـي ﷺ كيفيـة اتباعـه من أجل السـير على الصـراط المستقيم في حديث الثقلين الذي قال فيه: «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لـن تضلـوا بعدي أبداً أحدهما أعظم مـن الآخر كتاب الله حبل ممدود**

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٩.
(٢) سورة الإنشقاق: آية ٦.
(٣) سورة آل عمران: آية ٣١.
(٤) سورة الحشر: آية ٧.

من الأرض إلى السماء، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

إذن هناك سفر إلى الله تعالى على الصراط المستقيم يتمسك فيه الإنسان بالقرآن والعترة الطاهرة، ولأن السفر لا بُدّ له من زاد، فإن زاد هذا السفر هو التقوى قوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[2].

من هنا ورد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**يا جابر ايكتفي من أنتحل التشيّع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه**»[3].

٣- هي (آثار التقوى) النجاة من الملمات والصعاب والنوازل التي يمتحن بها الإنسان وكذلك نزول الرزق الحلال الذي ورد ذكره في سورة الطلاق: (آية ٢-٣) حيث يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾.

يقول ابن فهد الحُلي (قدس سره): إن هذه الآية الشريفة لها دلالات عديدة منها:

أ- إن التقوى قلعة حصينة وكهف محكم طبقاً لقول الله سبحانه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ ومثل ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله ما مفاده: «**لو أن السموات والأرضين أغلقت على العبد ثم اتقى هذا العبد فإن الله تعالى سيجعل له مخرجاً وفرجاً من السماء والأرض**».

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٣، ص١١٨.

(٢) سورة البقرة: آية ١٩٧.

(٣) أصول الكافي: ج٢، ص٧٤.

ب- التقوى كنز لا يفنى وذلك طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

جـ- إن الآية دليل على فضيلة التوكل وفيها يكون الله سبحانه كفيلاً بالتوكل عليه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وهل هناك شك فيما يصدر عن الله (حاشا له سبحانه) قوله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1].

د- إنها (الآية السابقة) تبين للعباد بأن الله سبحانه قادر على ما يريد ولا يُعجزه شيء ولا تمتنع غاية قصدها سبحانه وشاءها ذلك لأنه سبحانه بالغ أمره ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ كل ذلك كي نجهد أنفسنا ونعمل بالتقوى لأنه سبحانه وعد المتقين بأن يكفيهم ويغفر لهم ويحفظهم ويرعاهم لتوكّلهم عليه.

٤- كذلك آثار التقوى والعمل الصالح واضحة في سعادة الأمة ونزول البركات عليها من السماء والأرض قوله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

كذلك لو نظرنا إلى البعد المقابل نجد أن القرآن يؤكد بشكل واضح على الآثار الدنيوية المترتبة على الفجور والإنحراف عن الصراط المستقيم قوله ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[3]، أي المكذب وغير متقي يجد صعوبة وعدم تيسير في حياته ولكنه لا يعرف سبب ذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

---

(١) سورة النساء: آية ١٢٢.

(٢) سورة الأعراف: آية ٩٦.

(٣) سورة الليل: آية ٨-١٠.

وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1]، ولعل من أوضح الآيات الدالة على الرابطة بين فجور الإنسان وإفساده في الأرض وبين ظهور الكوارث الطبيعية والأمراض وغيرها هذه الآية ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2]، بمعنى أن المظالم والذنوب التي تكسبها أيدي الناس توجب فساداً في البر والبحر، مما يسبب وقوع الحروب وانقطاع الطرق وارتفاع الأمن وغيرها... من الأمراض والقحط والسيول والصواعق والطوفان ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[2]، فإن رجعت الأمة عن ضلالها كان بها ولكن إن استمرت على ضلالها وخبطها طبع الله على قلوبهم.

وطالما هذا الإنسان هو أحد أجزاء الطبيعة المحكومة بحكمها، الضعيفة في تركيبها، ولو فسدت لكان الإنسان الضعيف من أقدم أجزائها في الفساد وأسرعها في الهلاك، فأعمال الإنسان وسلوكه مرتبطة بسائر أجزاء الكون المحيط به، فإن صلحت أعمال الإنسان وسلوكه صلحت أجزاء الكون له وفتحت له بركات السماء وإن فسدت أفسدت الكون.

٥- <u>أثر التقوى على ذرية الإنسان:</u>

كذلك أشار القرآن إلى آثار التقوى بالنسبة إلى ذرية الإنسان أيضاً: فمثلاً نجد في قصة النبي موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر عليه السلام

---

(١) سورة طه: آية ١٢٤.
(٢) سورة الروم: آية ٤١.
(٣) سورة الشورى: آية ٣٠.

كما ذكرها القرآن الكريم ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴾[1] فكان الجواب من العبد الصالح ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ﴾[2].

ففي الآية السابقة دلالة على أن صلاح الآباء له آثار طيبة على سعادة الأبناء، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾.

٦- قال الله تعالى في سورة الأنفال: ٢٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ لعل هذه أهم الآثار التي تترتب على التقوى حيث تبين لنا حقيقة من أهم الحقائق القرآنية بأن الإنسان مراراً وتكراراً في اليوم والليلة يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرزقه الصراط المستقيم أي الهداية إلى الصراط المستقيم وأن يُخلصه من الضلالة ومن طريق المغضوب عليهم ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ لأن الصراط المستقيم هو أقرب طريقاً يوصل الإنسان إلى الهدف وإلى القرب الإلهي وإلى الله سبحانه وتعالى ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ إذن أهم هدف للإنسان في الحياة هو أن يصل إلى الصراط المستقيم لأن الإنسان إذا مشى على الصراط المستقيم سوف يصل إلى الهدف الذي من أجله خُلق وهو القرب الإلهي ولكنه كيف يمكنه أن يقع

(١) سورة الكهف: آية ٧٧.

على الصراط المستقيم، لعله يقع في طريق الضالين أو طريق المغضوب عليهم، هذه الآية تبين أن الإنسان إذا أراد أن يوفق لكي يعرف ويُفرّق بين الحق والباطل فيتّبع الحق ويتجنب الباطل عليه أن يكون متقياً قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾.

يعني يجعلكم تستطيعون أن تميزوا بين الحق والباطل، ومن هنا وردت الروايات التي تشير أن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الفاروق الأكبر يعني هو الذي يميز بين الحق والباطل لأن «**عليٌّ مع الحق والحق مع عليّ يدور حيث دار**»، لا أن عليّ يدور ما دار الحق، فعليّ هو الحق المتجسد، عليّ هو الفاروق بين الحق والباطل لهذا ورد عدد من الروايات في ذيل هذه الآية المبارك ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ أي اهدنا إلى ولاية عليّ وأهل بيته عليهم السلام.

من آثار التقوى على الإنسان في الدنيا:

طراوة جسد الشيخ الصدوق: جاء في «روضات الجنات» أنه في حدود سنة ١٢٣٨هـ وعلى أثر تساقط الأمطار بكثرة وجريان السيول تعرض قبر الشيخ الصدوق (قدس سره) الواقع في مدينة الري في سرداب للخراب، وعندما أهدم القبر لأجل تعميره، شوهد جسد الصدوق (قدس سره) باقياً على حاله لم يتغير، كأنه قد دُفن لتوّه، إلاّ ما كان من الكفن فقد تمزق كالفتائل المنتشرة على بدنه، وكان البدن مكشوفاً بكله باستثناء العورة، فذهب الناس من العلماء والمؤمنين لمشاهدة البدن الطاهر، وعندما وصل الخبر إلى السلطان فتح علي شاه، حضر بنفسه فرآه ثم أمر بتعمير القبر وبناء قبّة مُحكمة عليه مع وضع الزينة على البناء.

❁ ما هي صفات المتقين؟

التقوى من أهم الصفات التي يحرص المؤمن على الاتصاف بها لأنها السبيل لحمايته من غضب الله وحرّ جهنم، سوف نذكر صفات المتقين من خلال آيات القرآن الكريم ومن خلال خطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام المسماة بالصاعقة:

أولاً: صفات المتقين من خلال آيات القرآن الكريم:

اشتملت سور القرآن الكريم آياته على كثير من صفات المتقين وما يتميزون به من السمات والخصال في الدنيا، والأتقياء هم صفوة عباد الله الذين ملأ الإيمان قلوبهم فترجموه واقعاً عملياً في سلوكهم وتعاملهم في الحياة، وقد عبّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التقوى تعريفاً جامعاً بليغاً حينما قال: «**التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل**». ومن هذه الصفات ما جمعته آيات الله عز وجل وهي:

١- ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

ذكرت الآية المباركة عدة صفات للمتقين هي الاستغفار، الإنفاق في السراء والضراء، كظم الغيظ، العفو، الإحسان.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٣-١٣٥.

٢- ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

تصف الآيات المباركة صفات المتقون وهم الذين تقبّلوا الإسلام في جميع أبعاده فبدأت بالإيمان بالغيب وهي نقطة البداية في التقوى.

أ- فهم «**يؤمنون بالغيب**» أي يصدقون بما غاب عن حواسهم من توحيد الله ونبوة الأنبياء وقيام القائم والرجعة والبعث والحساب والجنة والنار وباقي الأمور التي يلزمهم الإيمان بها مما لا يعرف بالمشاهدة وإنما يعرف بدلائل نَصَّبها الله عز وجل عليه.

ب- والصفة الثانية للمتقين هي أنهم «**يقيمون الصلاة**» بإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها وحدودها وصيانتها مما يفسدها أو ينقصها.

جـ- «**ومما رزقناهم ينفقون**» فالمتقون لا ينفقون أموالهم فحسب، بل ينفقون من علمهم ومواهبهم العقلية وطاقاتهم الجسمية ومكانتهم الإجتماعية دون أن يترقبوا من إنسان جزاء.

د- والخاصية الرابعة للمتقين هو الإيمان بجميع الأنبياء وبرسالاتهم الإلهية قوله تعالى «**والذين يؤمنو بما أُنزل إليك**» من القرآن والشريعة «**وما أُنزل من قبلك**» من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، والمتقين يؤمنون بعدم وجود أي اختلاف في مبادئ دعوة الأنبياء وأسس رسالاتهم، وبأنهم جميعاً هداة البشرية نحو صراط مستقيم واحد.

---

(١) سورة البقرة: اية ٢-٥.

هـ- الإيمان بيوم القيامة: «**وبالآخرة**» أي الدار التي بعد هذه الدنيا التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل مما عملوه، وعقاب الأعمال السيئة بمثل ما كسبوه «**هم يوقنون**» لا يشكون بل يعلمون.

٣- لا تلهج ألسنتهم إلاّ بصدق ويتحرونه في أقوالهم وأعمالهم قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[١].

٤- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٢].

فالمتقون لا يحكمون بين الناس إلاّ بالعدل حتى ولو كان المتحاكمون من أصحاب الديانات الأخرى.

٥- ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٣].

يعظمون حرمات الله في قلوبهم فلا تنتهكها أقوالهم ولا أفعالهم، ويتحرّون التزام أوامر الله والإتيان بها على الوجه الذي يرضى الله، علماً أن شعائر الله تشمل جميع الأعمال الدينية التي تُذكّر الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعظمته، وإنّ إقامة هذه الأعمال دليل على تقوى القلوب.

٦- ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٧٧،
(٢) سورة المائدة: آية ٨.
(٣) سورة الحج: آية ٣٢.
(٤) سورة الرعد: آية ٢٠-٢٢.

أول ما أشار القرآن إليه في صفات المتقين وهم أصحاب أولي الألباب:

أ- وفاؤهم بالعهد وعدم نقضهم له ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ والعهد الإلهي له معنى واسع يشمل العهود الفطرية التي عاهدوا بها ربهم، كالفطرة على التوحيد وحب الحق والعدالة والمبدأ والمعاد، كذلك العهود الشرعية وهي ما عاهدوا الرسول ﷺ عليه، من الطاعة للأوامر الإلهية وترك المعاصي والذنوب.

ب- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ فالمتقون يحترمون جميع الصلات سواء كانت مع الله سبحانه أو مع الأنبياء، كذلك صلاتهم مع الأصدقاء والجيران والأقرباء ومع المجتمع كافة خصوصاً بذوي الحقوق عليه أمثال الأب والأم والأقرباء.

جـ- ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ فهم يخشون ربهم لأن العظمة الإلهية والإحساس بالعبودية له توجد حال من الخوف في قلوب المؤمنين المتقين، كذلك يخافون سوء الحساب خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

د- ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ من صفاتهم الإستقامة في مقابل جميع المشاكل التي يواجهونها في مسيرة الطاعة وترك المعصية، وجهاد الأعداء ومحاربة الظلم والفساد، والصبر في مرضاة الخالق.

هـ- ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يقيموا الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها وحدودها.

و- ﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أي ينفقون كل العطايا من الأموال والعلوم والقوة والجاه ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أن يكون إنفاقهم يتم بشكل

مدروس، فإذا كان الإنفاق مرة سراً يكون له تأثير كبير وذلك في الحالات التي توجب أن يحفظ بها ماء الوجه للطرف الآخر، أو تصون الطرف المنفق من الرياء، ومرة يكون الإنفاق العلني أكثر تأثيراً وذلك في الحالات التي تدعو الآخرين لكي يتأسوا بهذا العمل الخير ويقتدوا به، فيكون سبباً لكثير من أعمال الخير.

ر- ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ هؤلاء المتقون لم يكتفوا بالتوبة والإستغفار فقط عند ارتكابهم الذنوب، بل يدفعونها كذلك بالحسنات على مقدار تلك الذنوب، حتى يطهروا أنفسهم والمجتمع بماء الحسنات.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «**إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها**».

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «**عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه**»[1].

٧- قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[2].

ما زال القرآن الكريم يصف بآياته صفات المؤمنين المتقين حيث تعرض لثلاثة أوصاف من أوصافهم وهي:

أ- ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أنهم كانوا كل ليلة ينامون قسم من

(١) الكلمات القصار في نهج البلاغة الجملة ١٥٨.
(٢) سورة الذاريات: آية ١٥-١٩.

الليل ثم في وقت السحر تجدهم منشغلين بصلاة الليل والعبادة إلى مطلع الفجر، وقليلاً ما كانت تفوتهم صلاة الليل والعبادة.

ب- ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ بينما عيون الغافلين هاجعة آخر الليل والمكان هادئ تماماً تجد هؤلاء المؤمنون المتقين ينهضون ويقفون بين يدي الله ويعربون له عن حاجتهم وفاقتهم ويصفّون أقدامهم فيصلّون ويستغفرون عن ذنوبهم خاصة، وقد جاء في رواية عن النبي ﷺ قال: «**إن آخر الليل في التهجد أحبّ إلي من أوله، لأن الله يقول: بالأسحار هم يستغفرون**».

جـ- أما الوصف الثالث لأهل الجنة المتقين فيقول ﴿ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ إضافة إلى واجباتهم وحقوقهم أوجبوا على أنفسهم حقاً ينفقونه من مالهم تقرباً إلى الله وإشفاقاً على الناس للسائل والمحروم.

خطبة المتقين

رُوِيَ أَنَّ صَاحِباً لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلاً عَابِداً فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَتَثَاقَلَ عليه السلام عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الاِقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْ لا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ

بـه دَوَاءَ دَائهـمْ فَإذَا مَرُّوا بآيَـة فيهَا تَشْويقٌ رَكَنُوا إلَيْهَـا طَمَعاً وَتَطلَّعَتْ نُفُوسُهُـمْ إلَيْهَـا شَوْقـاً وَظَنُّـوا أَنَّهَا نُصْـبَ أَعْيُنهـمْ وَإذَا مَـرُّوا بآيَة فيهَا تَخْويفٌ أَصْغَوْا إلَيْهَا مَسَامعَ قُلُوبهمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا في أُصُـول آذَانهمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَـى أَوْسَاطهمْ مُفْتَرشُونَ لجبَاههمْ وَأَكُفِّهمْ وَرُكَبهـمْ وَأَطْـرَاف أَقْدَامهـمْ يَطْلُبُـونَ إلَى الله تَعَالَى في فَـكَاك رقَابهمْ وَأَمَّـا النَّهَارَ فَحُلَمَـاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقيَاءُ قَدْ بَرَاهُـمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقدَاح يَنْظُـرُ إلَيْهـمُ النَّاظـرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بالْقَوْم مـنْ مَرَض وَيَقُولُ لَقَدْ خُولطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظيمٌ لَا يَرْضَوْنَ منْ أَعْمَالهمُ الْقَليلَ وَلَا يَسْتَكْثرُونَ الْكَثيرَ فَهُـمْ لأَنْفُسهمْ مُتَّهمُونَ وَمنْ أَعْمَالهمْ مُشْفقُونَ إذَا زُكِّيَ أَحَدٌ منْهُمْ خَافَ ممَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بنَفْسي منْ غَيْري وَرَبِّـي أَعْلَـمُ بـي منِّي بنَفْسـي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخـذْني بمَا يَقُولُـونَ وَاجْعَلْني أَفْضَـلَ ممَّـا يَظُنُّـونَ وَاغْفرْ لي مَـا لَا يَعْلَمُونَ فَمنْ عَلَامَـة أَحَدهمْ أَنَّكَ تَـرَى لَهُ قُوَّةً فـي دين وَحَزْماً في لين وَإيمَاناً في يَقين وَحرْصاً في علْم وَعلْمـاً فـي حلْم وَقَصْداً في غنًـى وَخُشُوعاً في عبَـادَة وَتَجَمُّلًا في فَاقَة وَصَبْراً في شدَّة وَطَلَباً في حَلَال وَنَشَاطاً في هُدًى وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَع يَعْمَـلُ الْأَعْمَـالَ الصَّالحَـةَ وَهُوَ عَلَى وَجَـل يُمْسي وَهَمُّهُ الشُّكْـرُ وَيُصْبحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبيتُ حَذراً وَيُصْبحُ فَرحاً حَذراً لمَا حُذِّرَ منَ الْغَفْلَة وَفَرحاً بمَـا أَصَـابَ منَ الْفَضْل وَالرَّحْمَـة إنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْـه نَفْسُهُ فيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطهَـا سُؤْلَهَـا فيمَا تُحبُّ قُـرَّةُ عَيْنه فيمَا لَا يَـزُولُ وَزَهَادَتُهُ فيمَا لَا يَبْقَـى يَمْـزُجُ الْحلْمَ بالْعلْـم وَالْقَوْلَ بالْعَمَل تَرَاهُ قَريبـاً أَمَلُهُ قَليلًا زَلَلُهُ خَاشعـاً قَلْبُـهُ قَانعَـةً نَفْسُـهُ مَنْـزُوراً أَكْلُهُ سَهْلًا أَمْـرُهُ حَريزاً دينُـهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُـهُ مَكْظُومـاً غَيْظُهُ الْخَيْرُ منْـهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ منْـهُ مَأْمُونٌ إنْ كَانَ

فـي الْغَافلـينَ كُتبَ فـي الذَّاكريـنَ وَإنْ كَانَ فـي الذَّاكريـنَ لَمْ يُكْتَبْ منَ الْغَافلـينَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطي مَـنْ حَرَمَهُ وَيَصلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعيداً فُحْشُـهُ لَيِّنـاً قَوْلُـهُ غَائباً مُنْكَـرُهُ حَاضـراً مَعْرُوفُهُ مُقْبلًا خَـيرُهُ مُدْبراً شَرُّهُ فـي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ وَفـي الْمَكَاره صَبُورٌ وَفـي الرَّخَاء شَكُورٌ لَا يَحيفُ عَلَى مَنْ يُبْغضُ وَلَا يَأْثَمُ فيمَنْ يُحبُّ يَعْتَرفُ بالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْه لَا يُضيـعُ مَـا اسْتُحْفـظَ وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ وَلَا يُنَابـزُ بالْأَلْقَاب وَلَا يُضَارُّ بالْجَـار وَلَا يَشْمَتُ بالْمَصَائب وَلَا يَدْخُلُ فـي الْبَاطل وَلَا يَخْرُجُ منَ الْحَقِّ إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وَإنْ ضَحكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ وَإنْ بُغيَ عَلَيْه صَبَرَ حَتَّـى يَكُـونَ اللهُ هُـوَ الَّـذي يَنْتَقمُ لَـهُ نَفْسُهُ منْهُ فـي عَنَـاء وَالنَّاسُ منْهُ فـي رَاحَة أَتْعَبَ نَفْسَـهُ لآخرَته وَأَرَاحَ النَّاسَ منْ نَفْسه بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْـهُ زُهْـدٌ وَنَزَاهَةٌ وَدُنُـوُّهُ ممَّنْ دَنَا منْهُ لـينٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بكبْر وَعَظَمَـة وَلَا دُنُـوُّهُ بمَكْر وَخَديعَة. قَالَ فَصَعقَ هَمَّـامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فيهَـا فَقَـالَ أَمـيرُ الْمُؤْمنـينَ عليه السلام: أَمَا وَاللهِ لَقَـدْ كُنْتُ أَخَافُهَـا عَلَيْه ثُمَّ قَـالَ أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعظُ الْبَالغَـةُ بأَهْلهَا. فَقَالَ لَهُ قَائلٌ فَمَا بَالُكَ يَا أَمـيرَ الْمُؤْمنـينَ؟ فَقَالَ عليه السلام: وَيْحَكَ إنَّ لـكُلِّ أَجَل وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لـمثْلهَا فَإنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لسَانكَ.

صفات المتقين من خلال

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي عرفت بالصاعقة

وردت في كتاب نهج البلاغة خطبة وصف المتقين عرفت بالصاعقة «التي صعق لها همام[1] عليه الرحمة»، فقد طلب همام من أمير المؤمنين عليه السلام أن يصف له المتقين كأنّ ينظر إليهم، فتثاقل عن جوابه ثم قال عليه السلام: يَا هَمَّامُ «اتَّقِ اللهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

أي ليس عليك أن تعرف صفات المتقين على التفصيل، ولعل الأصلح لك القناعة بما تعرفه مجملاً من صفاتهم، ومراعاة التقوى والإحسان كأنّ المراد بالتقوى الاجتناب عمّا نهى الله عنه، وبالإحسان فعل ما أمر الله به، ولكن لم يقنع همام ويكتفي بذلك بل أصرّ على الإمام عليه السلام وأقسم عليه إلاّ أن يصف له المتقين.

قال: فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً ... إلى أن قال وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ».

قد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام أنّ سبب خلق الخلق هو لغاية وحكمة ولا شك أنهما راجعتان إليهم لا إليه تعالى، لأنه غني في حدّ ذاته وكامل في صفاته غير محتاج إلى وجود مخلوقاته لأن الاحتياج نقص وهو منزّه عنه ولكن سبب خلقنا هو لغايات أهمها:

---

(١) همام هو همّام بن شريح بن يزيد بن مره، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأوليائه، وكان ناسكا عابدا.

١- خلق الله عز وجل الخلق ليوصلهم إلى السعادة الأبدية وإلى الجنة ليظهر جوده وكرمه من خلال وصولنا إلى الجنة وهذا لا يكون إلاّ باستحقاق.

٢- الغاية الثانية التي يتحقق من خلالها الحكمة من وصولنا إلى ذلك المقام العالي هي العبادة التي هي طريق التقرب إلى الله تعالى قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

٣- الغاية المهمة التي لا تكون العبادة إلاّ بها هي المعرفة لأن لا تقرّب إلى الله تعالى إلاّ بمعرفة سابقة له عز وجل لذا كان «**أول الدين معرفته**»، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام «**فمن لا يعرف لا يمكن له العبادة**». فَخَلقُ الخَلْق لا يعود إليه سبحانه بل إلى العباد، لأنه أراد أن يثيبهم في الآخرة، والثواب هو النفع المقارن للتعظيم والإجلال، وفعله لمن لا يستحق أصلاً قبيح عقلاً، فلذا كلفهم وبعث إليهم الرسل ووعدهم وأوعدهم، وعرضهم للمثوبات الدائمة الجليلة..

«**فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ**».

فقسّم معيشتهم في هذه الحياة ومراتبهم إشارة إلى الدرجات الدنيوية كالغنى والفقر، والصحة والمرض، والدرجات الدينية لاختلاف استعداداتهم وقابلياتهم في العلم والعمل.

ثم شرع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين وقال:

«**فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ**» أي هم أصحاب البصائر

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

والدرجة الرفيعة من حسن الخلق «**مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ**» المنطق هو النطق أي لا يقولون إلاّ حقاً، ولا يتكلمون إلاّ في مقام التكلم كذكر الله تعالى، وإظهار حق وإبطال باطل، ويصونون ألسنتهم من كل ما هو اعوجاج وانحراف فهي (ألسنتهم) محفوظة من التهمة والإفتراء على الآخرين والكذب والغيبة والنميمة ومن قول الفجور ذلك لأنهم استطاعوا أن يسيطروا عقولهم على هواهم قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ذكر الله شيمة المتقين**»، وقال عليه السلام: «**ذكر الله سجية كل محسن وشيمة كل مؤمن**»، «**وَمَلْبَسُهُمُ الإِقْتِصَادُ**» الاقتصاد يعني أنهم لا يلبسون ملابس ذا قيمة عالية جداً وما يلحقهم بأهل الخسّة والدناءة فهم ليسوا بمترفين ولا مبذرين في ملبسهم، ولا بُد أن يكون المؤمن فطناً متفقهاً في مسألة اللباس، وعلى دراية ما الذي يجب عليه أن يلبسه وما الذي يحرّم على الإنسان لبسه؟ وما الذي يستحب لبسهُ، بالنسبة للنساء لا يحرم عليهم لبس الحرير، وأي نوع من اللباس مع أخذ الاعتبار عدم لبس أي لباس مصنوع من جلد الكلب أو الخنزير أو مأخوذ من الميتة سواء ملبس أو حذاء مستورد من دول غير إسلامية كما الرجال يحرم عليهم مطلقاً لبس الحرير ولبس الذهب.

علماءونا وضعوا مجموعة من الضوابط في مسألة اللبس:

أ- **الرابطة الأولى** أن تلبس ما هو لائقاً بمقامك ورتبتك ومنزلتك الإجتماعية لأن الله سبحانه خلق الناس على رتب طبقات منهم الغني

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٩.

ومنهم المتوسط ومنهم الفقير، فمثلاً الغني عليه أن يلبس اللباس الذي لا يتهم بسببه البخل.

ب- **الرابطة الثانية:** أن يبعد المؤمن عن كل لباس يشبه لباس أهل الكفر والمخالفين، لغل في الحديث القدسي أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى بعض أوليائه «**قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تأكلوا كأعدائي، ولا تمشوا كأعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي**»[1].

السيد كاظم الرشتي (قدس سره) في كتابه «السلوك إلى الله» ص ٣٢ يقول: أما بالنسبة للباس فلا يترك المؤمن اللباس الحسن بالكلية إلاّ إذا حصل للنفس عُجب عند لبسه فيجب تركه، ولا أنه يلبس اللباس الرديء بحيث يمقت النفس ولا يميل إلى الطاعة أبداً.

إذن ملبسهم الاقتصاد يعني أن يكون ملبسهم وفق الضوابط والقوانين الشرعية، وأهل العصمة عليهم السلام نبهوا شيعتهم مسألة اللباس وأي الألوان يستحب لبسها، وكيفية هذا اللباس وأكدوا على جرّ الذيول وتطويل اللباس خاص للنساء والتقصير للرجال بطول مناسب غير مبالغ في تقصيره. أما الألوان فلون الأبيض والأصفر والأحمر الفاتح واللون الذي يميل إلى لون الأزرق السماوي كلها ألوان ممدوحة بينما اللون الأسود يكره لبسه عند أهل العصمة ما عدا في العباءة.

حتى لبس الحذاء أوصوا أهل العصمة باللون الأبيض فهو ممدوح، والشاهد هو أن شخصاً دخل على الإمام الصادق عليه السلام وقد لبس نعال أبيض فالتفت إليه الإمام عليه السلام وقال: «**من لبس النعل الأبيض ودخل فيه**

(١) حلية المتقين: ص٣٣.

إلى السوق يُرزق من حيث لا يحتسب»، فقال الرجل: دخلت السوق بالنعال الأبيض وقبل أن أخرج من السوق رُزقت ١٥٠ دينار ولكن لا أعلم كيف؟

«وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ» أن يمشون على الإستقامة والاعتدال ولا يمشون مشي المتكبرين قوله تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[١] ولا يميلون ببعض أعضائهم إلى جهة غير الجهة التي يمشون إليها، ولكن عليهم المشي مع السكينة والوقار فإنهما علامة الإيمان، ولا يكون المشي سريعاً مفرطاً ولا بطيئاً بل متوسط ويكون على السرعة أقرب منه إلى البطئ، وأهل العصمة عليهم السلام يهتمون بمسألة المشي لأن مشية الإنسان تدل على رزانته واتزانه، قال رسول الله ﷺ: «**ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله تعالى**»[٢].

«غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ» غضّ أي خفض وتقليل من النظر وليس أن يغمض عينه بمجرد أنه شاهد امرأة ليست من محارمه بحيث لا يعرف ولا يرى طريقه، ولا أن ينظر إليها ويتبحر فيها بل عليه أن يرمي ببصره إلى الأرض بمجرد أن ينظر إلى امرأة أجنبية، لأن النظر سهم من سهام إبليس فمن تركه لله عز وجل أعقبه الله أمناً وإيماناً يجد طعمه، قوله تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾[٣].

أهل التقوى لا ينظرون إلى الحرام ولا ينظرون إلى ما لا فائدة له ولا منفعة، هؤلاء أوقفوا أعينهم على ما فيه منفعة وفائدة، مثل الكتب التي فيها علوم أهل العصمة أو كتب عن سيرة العلماء.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٣٧.

(٢) جامع السعادات: ج١، ص٢٣٢.

(٣) سورة النور: آية ٣٠.

يُقال أن عدد من الرجال جاءوا إلى المولى ميرزا حسن الأحقاقي (قدس سره) يسألون عن التلفاز في بداية دخوله في داخل البيوت هل هو حرام أو حلال؟ قال: مثله مثل السكين كيف تستعمل السكين يجري عليها الحكم، إذا استخدمتها لتقطيع الطعام حلال أما إذا استخدمتها في أذية نفسك أو أذية الغير فهو حرام، حُكم التلفاز مثل هذا تنظر إلى ما فيه منفعة وفائدة حلال أما أنك تنظر إلى ما لا فائدة فيه ولا منفعة فهو حرام.

«**وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ**» أي أنهم يأخذون بالسمع والإصغاء لما يزيدهم علماً ينفعهم في شؤون حياتهم ولا يُعيرون أذناً صاغية بل يجتنبون سماع اللغو والتافهة من الحديث مما قد يؤثمهم ويُخِلُّ في تقواهم.

«**نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ**» أنهم إذا كانوا بالأمل في الله كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يهنون، وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة كأنهم في بلاء لا يبطرون ولا يتجبرون، والمراد بالبلاء هو المرض والضيق ونحوهما.

ثم يقول عليه السلام في جانب آخر من الوصف الصاعق:

«**قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ**» حزن قلوبهم للخوف من العقاب، لاحتمال التقصير كما قال الله سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[1] والأمن من شرورهم، لأنهم لا يهمّون بظلم كما ورد في الخبر «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٦٠.

«وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ» أي هزيلة من كثرة الصيام والسهر والرياضات أو للخوف.

«وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ» خفة حاجاتهم لقلة الرغبة في الدنيا وترك اتباع الهوى، وقصر الأمل، وقناعتهم بما رزقهم الله.

«وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ» والعفة: كفٌ النفس عن المحرمات بل عن الشبهات والمكروهات أيضاً.

«صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ» القرآن الكريم في مواضع عديدة يشبه عمل الإنسان في الحياة الدنيا بالتجارة، ونحن في الحياة الدنيا تجار نأتي إلى هذا المتجر الكبير برأس مال وهبه لنا الله سبحانه، وعناصره العقل والفطرة والعواطف والطاقات الجسمية المختلفة ثم قيادة الأنبياء، جمعٌ يربحون ويفوزون ويسعدون، وجمعٌ لا يجنون ربحاً، بل يفقدون رأس مالهم ويفلسون، فالمجاهدون في سبيل الله وهم المتقون هم من أفراد الجمع الأول، يسّر لهم ربهم تجارتهم، فصبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة.

«أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا» أي أقبلت إليهم الدنيا بزخارفها وملاذها وتمكنوا من تحصيلها بكسب المال والجاه، فلم يقبلوها ولم يسعوا في تحصيلها. كما تمثلت الدنيا لأمير المؤمنين علي عليه السلام فأعرض عنها وطلقها بالثلاث[1].

(١) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «يا دنيا يا دنيا إليك عني.. أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوقت؟ لا حان حينك غرّني يا دنيا.. من جهل حيلك، وخفي عليه حبائل كيدك، هيهات.. هيهات.. غري غيري لا حاجة لي منك.. لقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصيرٌ، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلة الزاد وطول الطريق، وبعد السفر وعظيم المورد.

وأمـا أسرهـا إيّاهم فـلأن أرواح الأولياء قدسيـة ومقامها في العالم الجسد، أي خلاف مقتضى طبيعتها، فهي غريبة في هذا العالم وأسيرة هنا من حيث الغربة وعدم الملاءمة، فدائماً يستعد ويتهيأ للسفر الحقيقي.

« **أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ** » حال المتقون في الليل تجدهـم صافين أقدامهم بـين يدي الجبار لصلاة الليـل، تالين لأجزاء القـرآن بنفوس حزينة عند قراءة آيـات الوعيد أما آيات الموعد فللخوف من الحرمـان وعدم الاستعـداد يرتلون القـرآن بصوت حزيـن بالتدبر والتذكر ليـداوون بآيات الخوف داء الرجاء الغالب الذي كاد أن يبلغ حدّ الاغـترار، والأمن لمكر الله. ويـداوون بآيات الرجاء داء الخوف إذا قرب من القنوط، وبما يستكمل اليقين داء الشبهة، وبالعبر داء القسوة.

« **فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً** » لما أعدّ الله سبحانه لهم من نعيم خالد.

«**وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ**» «**وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ**» واقشعـرت منها جلودهم ووجلـت منها قلوبهم «**وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ**» فهم يسمعون صوت توقّد النار وشهيقهـا الشديد وزفيرهـا كأنه تردد البكاء أو نهيـق الحمار، أي أنّهم من كمـال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جـدران أذانهم، فهم من شدة الخوف حنوا ظهورهم وسلّطوا الإنحناء على أوساطهم وصف لحال

ركوعهم مفترشون لجباههم وباسطون لها على الأرض وهو وصف لحال سجودهم يطلبون من الله ويسألونه أن يعتقهم من النار.

وهذا الوصف هو وصف الطبقة التي تعبد الله كأنّها تراه، فهي تعبد عن صدق لكن من وراء حجاب إيماناً بالغيب.

وهذا مقام الخلّص الذي جسده أحد المتقين كما نقله الإمام الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق برأسه، مصفراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟

قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً موقناً.

فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «فقد أخبر بشيء نادر الوقوع» وقال صلى الله عليه وآله: إنّ لكل يقين حقيقة فما هي حقيقة يقينك؟

فقال: أن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأني أنظر إلى عرش ربي، وقد نصّب لحساب، وحشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون، وعلى الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار، وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبدٌ نوّر الله قلبه بالإيمان، ثم قال له: إلزم ما أنت عليه، فطلب الشاب من النبي صلى الله عليه وآله أن يدعو الله أن يرزقه الشهادة مع الرسول صلى الله عليه وآله، وفعلاً رزقه الله الشهادة[1].

(١) أصول الكافي: كتاب الإيمان والكفر: ج٢، ص٥٣.

«وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ» أي نحت وترقق الخوف أجسامهم فأصبحت كما ترقق السهام بالنحت وهو كناية عن نحافة البدن، وضعف الجسد أو زوال الآمال والمطالب الدنيوية.

«يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ» يظن الناظر بهم الجنون وما بهم من جنّة، بل مازج قلوبهم أمر عظيم وهو الخوف، فتولهوا لأجله، أي صار سبباً لجنونهم، بمعنى هؤلاء المتقون، إذا ذكروا عظمة الله سبحانه وشدة سلطانه مع ما يخالطهم من ذكر الموت وأهوال يوم القيامة أفزع ذلك قلوبهم وطاشت له أحلامهم وذُهلت منه عقولهم، فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية الصالحة.

«لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ» أي أنّهم يظنون بأنفسهم التقصير أو الميل إلى الدنيا أو عدم الإخلاص في النية أو يشكّون في شأنها ونياتها ويخافون أن يكون مقصودها في العبادات الرياء والسمعة وأن تجرها إلى العُجب، فلا يعتمدون عليها.

«فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ» والإشفاق هو الخوف، وإشفاقهم من السيئات وإن تابوا منها، لاحتمال عدم قبول توبتهم، ومن الحسنات لاحتمال عدم القبول، لاختلال بعض الشرائط، وعدم إخلاص النية وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة: آية ٢٧.

«إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ» التزكية هو المدح، وخوفهم من الوقوع في العجب والإتكال على العمل وسؤال عدم المؤاخذة لذلك، ويحتمل أن يكون كناية عن عدم الرضا بما يقولون، والتبّري من التزكية، وظنّ البراءة بالنفس فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

«وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ» وفقني لدرجة فوق ما يظنون بي من حسن العمل والقبول.

هذه بعض صفات المتقين التي ذكرها أمير المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الصاعقة التي على أثرها صعق[1] همام صعقة كانت نفسه فيها، **فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا.**

فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟[2]

فَقَالَ عليه السلام: وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ.

بالإضافة إلى خطبة الصاعقة وصف أمير المؤمنين عليه السلام المتقين في أماكن أخرى مثلاً:

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يُميتهم، وتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودركهم لها**

---

(١) صعق: أي غُشي عليه.

(٢) فما بالك لا تموت مع انطواء سرّك على هذه المواعظ البالغة. وهذا سؤال الوقح البارد.

فوتاً، أعداء ما سالم الناس، وسَلْمُ ما عادى الناس، بهم عُلِمَ الكتاب وبه عُلموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يرون مرجواً فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون»[1].

- وقال عليه السلام: «واعلموا عباد الله أنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبْلغ، والمتجر الرابح، أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنّهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا ترد لهم وعدة، ولا ينقص لهم نصيب من لذّة»[2].

- وقال عليه السلام: «كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يُعظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بذَ القائلين، ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجدّ فهو ليثُ غابٍ وصلُّ وادٍ، لا يُدلي بحجّة حتى يأتي قاضياً، وكان لا يلوم أحداً على ما يجدُ العذر من مثله، حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكون وجعاً إلاّ عند بُرئه، وكان يقول ما يفعل، ولا يقول ما لا يفعل، وكان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على السكوت، وكان على ما يسمعُ أحرص منه على أن يتكلّم، وكان إذا بدَهه أمران ينظر أيّهما أقرب إلى الهوى فيخالفه».

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٢.

(٢) نهج البلاغة من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر: رقم ٢٧.

عـن أبي بصير عن أبي جعفـر عليه السلام قال: «**كان أمـير المؤمنين عليه السلام يقـول: إن لأهـل التقـوى علامات يعرفـون بها: صدق الحديـث، وأداء الأمانـة، والوفاء بالعهد، وقلة العجز والبخـل، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفـاء، وقلـة المؤتـاه للنسـاء، وبذل المعـروف، وحسن الخلـق، وسعة الحلم، واتباع العلم فيما يقرّ إلى الله، طوبى لهم وحسن مآب**».

فعليكم بهذه الخلائق (جمـع خُلق) فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير[1].

عوّد نفسك على بعض الأعمال الصالحة، فإذا عملت قوّي العقل، فإذا قـوي العقل بعثها على العمل وهكذا، فأنت تعـوّد نفسك على فعل الخير، فإن فعلت فحسن وإن خالفت فلا تهتم بما مضى واجتهد بما يأتي فربما لـو اهتممـت بما مضى كان شاغلاً لك عما يأتـي ولا يرجع لك ما مضي، وتستـدرك ما معنى (بالندم والاستغفار) ولا يكون الندم شاغلاً لك عما يأتـي، وأكثر من ذكر الموت وأحوال الآخرة من الجنة والنار، واعتبر بمن كانوا معك وسافروا قبلـك إلى الآخرة، واقتدي بمن استعد لذلك السفر الطويل بالزاد الجزيل منهم، وحذر نفسك أن تكون كمن سافر بغير زاد.

---

(١) التقوى في القرآن: ص١٩٨-١٩٩.

ما هي مكانة المتقين عند الله؟

من الأمور المحبوبة عند الله تعالى هي التقوى قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

محبة الله تعالى لعبده هو كشف الحجاب عن قلب العبد وعلامة حبّه سبحانه للعبد توفيق للتجافي عن دار الغرور والترقي إلى عالم النور والأنس بالله والوحشة مما سواه، وإذا أحبّ الله عبداً تولى أمره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2] عند ذلك تظهر على العبد آثار الولاية الإلهية في قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3] حيث افتتحت الآيات المباركة (ألا) التنبيهية للإشارة إلى أهمية ما تريد بيانه وتوضيحه حيث ذكرت أولياء الله:

١- وهم الذين لا يوجد حائل بينهم وبين الله فقد زالت الحجب عن قلوبهم وهم في اندكاك نور المعرفة والإيمان والعمل الخالص يرون الله بعيون قلوب هم لا يجد الشك أي طريق إلى تلك القلوب الوالهة، وأن كل شيء سوى الله حقير في نظرهم ولا قيمة له وفانٍ لا أهمية له. كذلك هؤلاء لا يعرفون الخوف لأنهم متحررون من كل أشكال الارتباط والتعلق

---

(١) سورة آل عمران: آية ٧٦.
(٢) سورة الجاثية: آية ١٩.
(٣) سورة يونس: آية ٦٢-٦٤.

بعالم المادة بل هم غارقون في صفات جماله وجلاله إلى الحد أنهم نسوا كل شيء غيره.

٢- الآية الثانية قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ الملفت للنظر إن الآية ذكرت الإيمان بصيغة الماضي المطلق والتقوى بصيغة الماضي الاستمراري وهذا إشارة إلى أن إيمان هؤلاء قد بلغ الكمال تلك المرتبة التي يسلّم فيها العبد لربّه حقيقة معنى ألوهيته، فلا يسخط لشيء من أمره من قضاء وقدر وحكم ولا يعترض على شيء من إرادته، هذا هو الإيمان الكامل الذي تتمّ به للعبد عبوديته، والذي يرى كل شيء مُلكاً مطلقاً لله سبحانه لا يشاركه في ملكه أحد، لا يرى لنفسه ملكاً أو حقاً لأي شيء حتى يخاف من أمره أو يحزن وهذا هو الذي يصفه الله في أوليائه بقوله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

أما التقوى تنعكس في العمل اليومي، تتطلب كل يوم وكل ساعة عملاً جديداً أي مستمرون على التقوى، هؤلاء الذين يملكون هذين الركنين الأساسيين (الإيمان والتقوى) يحسون بدرجة من الطمأنينة داخل أرواحهم بحيث لا تهزهم أية عاصفة من عواصف الحياة بل يقفون أمامها كالجبل كما وصفهم الحديث: «المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف».

٣- وتؤكد الآية الثالثة على مسألة عدم وجود الخوف والغم والوحشة في وجود أولياء الحق بهذه العبارة ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ وعلى هذا فهم ليسوا خالين من الخوف والغم بل إن البشارة والفرحة والسرور بالنعم الكثيرة اللا محدودة في هذه الدنيا

وتلـك الآخرة ستكون نصيبهم، ثم تضيف التأكيد ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ أن الله سبحانه سيفي بما وعد به أولياءه.

إذاً أوليـاء الله هم أهل الوله والمحبـة لله، وخصّ بهم أنّهم لا يلتفتون إلى شيء إلاّ الله سبحانه ولذلك لا يخافون ولا يحزنون لشيء، قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

قـال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد**».

الخاتمة

نستطيع أن نُلخص مفهوم التقوى بأن يرى الإنسان نفسه عبداً، ولا يرى لنفسه أي علو أو رفعة، وأن يعرف الإنسان أنه أحقر من كل حقير في مقابلة عظمة الله تعالى لأن الجميع ضعفاء وعبيد وكل واحد حقير، والله وحده هو العظيم، فاتقوا الله تعني اخشوا الله، والتقوى تعني الالتزام وتحمل المسؤولية والقيام بها، يقول الله تعالى ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾[1] أي أن الإنسان إذا أصبح ملتزماً وتحمل المسؤولية يكون عند ذلك متقياً وعليه أن لا يذنب، وأن لا يعبد هوى النفس في مقابل طاعة الله، لأن النفس قد تصل بها الحقارة إلى أن تقف أحياناً في مقابل الله سبحانه وتعالى خصوصاً في حالة الغضب بل قد تنكر الله، لما في نفس الإنسان من عناد ولجاجة قوله ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[2]، وعليه يجب أن يكون المتقي في البداية ملتزماً، وأن يكون عبداً لله، لا سيداً كما يظن أو مطيعاً لهوى نفسه.

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**إن تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة**».

أي أن المسلم إذا التزم وتحمل المسؤولية عليه أن يراقب التقوى لأن التقوى مفتاح كل عمل خير وصحيح، ولا يصدر عنه انحراف أو خطأ لأن التقوى هي التي قد طوت سبيل الإخلاص.

---

(١) سورة يس: آية ٦٠.

(٢) سورة يس: آية ٧٧.

فطوبى لك أيها المتقي لأنك ستنال السعادة في قبرك وقيامتك لأنك عملت بإخلاص فستكون عاقبة أمورك جنة ونعيم، كما قال رسول الله ﷺ: «**القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**».

فإن كان إنساناً ملتزماً مخلصاً سيكون قبره روضة، وأما إن كان غير ملتزم سيكون قبره حفرة من حفر النار.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل اليقين ومن شيعة أمير المؤمنين بحرمة الصلاة على محمد وآل محمد.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- بحار الأنوار - المجلسي.

٣- تفسير الأمثل.

٤- تفسير الصافي.

٥- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة - الشيخ الأوحد.

٦- نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده.

٧- نهج البلاغة - الشريف الرضي.

٨- الكلمات القصار في نهج البلاغة.

٩- كيفية السلوك إلى الله - الشيخ الأوحد.

١٠- السلوك إلى الله - السيد كاظم الرشتي.

١١- حلية المتقين - الشيخ خليل رزق العاملي.

١٢- الهداية في البيان والمعاني في علم الحكمة - الشيخ أبو تراب القزويني.

١٣- جامع السعادات - المولى النراقي.

١٤- أسرار القرآن - مصنفات الشهيد د. ستغيب.

١٥- مصباح الشريعة - الإمام الصادق عليه السلام.

١٦- أصول الكافي - الكليني.

١٧- التقوى في القرآن - السيد كمال الحيدري.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١- المقدمة	٣
٢- التقوى	٥
٣- مراتب التقوى	١٠
٤- طرق السلوك إلى التقوى	١٤
٥- لماذا التقوى؟	١٥
٦- ما هي آثار التقوى على الإنسان؟	١٦
٧- ما هي صفات المتقين؟	٢٤
- صفات المتقين في القرآن الكريم	٢٤
٨- خطبة المتقين	٣٠
- صفات المتقين في الخطبة الصاعقة	٣٣
٩- الخاتمة	٤٩
١٠- المصادر	٥١

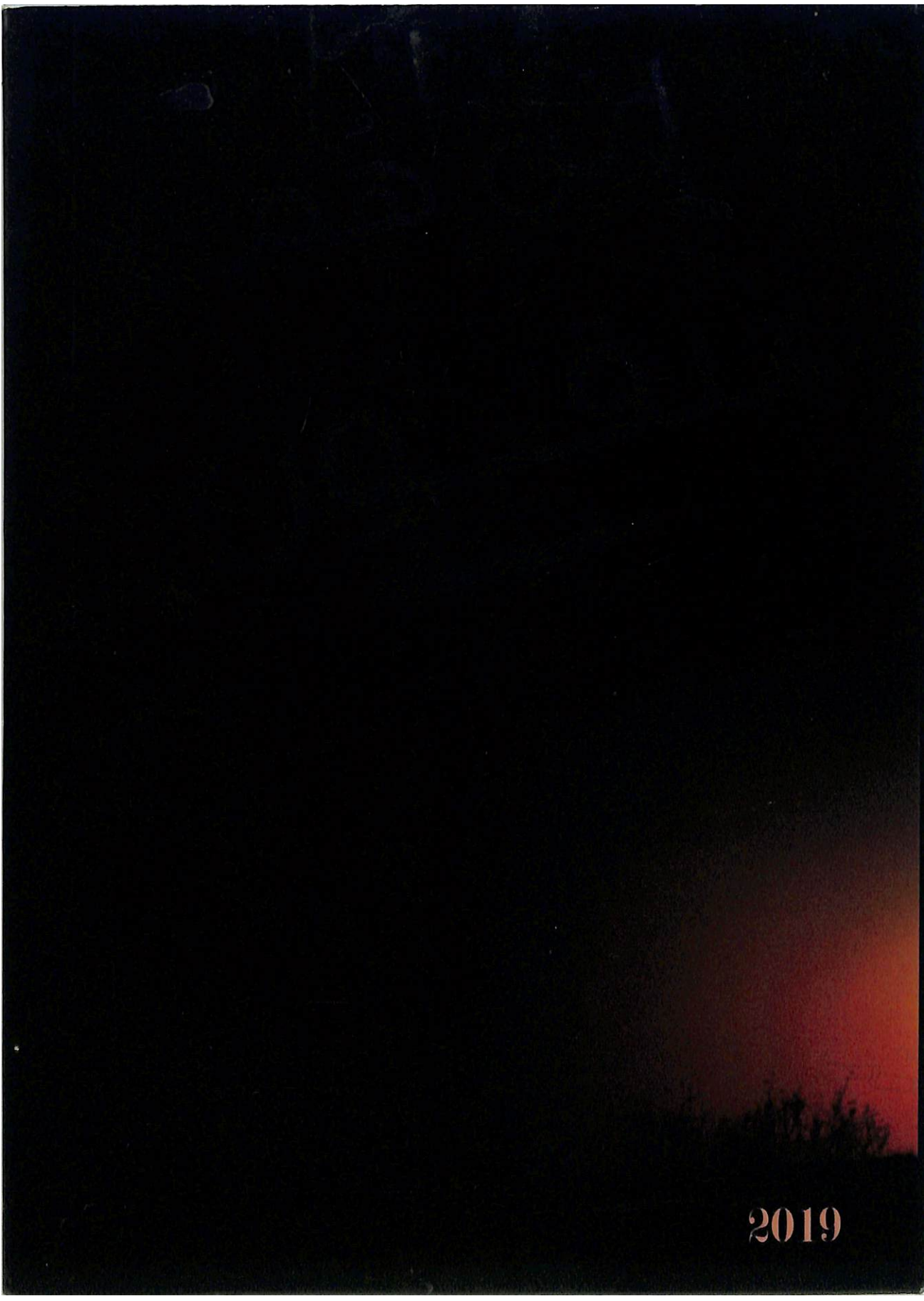
2019